منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند ابن الوزير اليماني (ت840هـ):

دراسة على ضوء كتابه "ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان"

The Method of argumentation on the issues of belief from the perspective of Ibn Al-Wazir Al-Yamani (D840 AH)

عمر بن سكا[1]

Omar BEN SAGA

(1) باحث في الفكر الإسلامي ومقارنة الأديان. (المغرب). البريد الإلكتروني: omar.bensaga@usmba.ac.ma

ملخص البحث:

يروم البحثُ بسطَ الكلام بإزاء إسهامات واحد من أبرز علماء اليمن إبَّان القرن التاسع الهجري، والذي لم يحظ بكثير من الاهتمام والاحتفاء من قِبَل الباحثين والدارسين. بل لقد أثير جدلٌ كثير بشأن انتمائه المذهبي الذي انتهى إليه مشوارُ حياته الفكرية والمذهبية. لقد كان ينتسب في بداية أمره إلى علماء الزيدية، ثم ترجح لدى عدد من الدارسين، بناء على ما سطره بنفسه في مؤلفاته الشهيرة، أنه انتصر للطريقة السنية من خلال الحض على لزوم أصول الإسلام الأولى (القرآن والسنة). الأمر يتعلق بعالم اليمن محمد بن إبراهيم بن علي المعروف بابن الوزير اليماني(775-840 هـ)، وهو صاحب التصانيف الفريدة نخص منها بالذكر: "العواصم والقواصم"، "إيثار الحق على الخلق"، "الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم"، ثم كتاب "ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان". ولا نبالغ إذا قلنا إنه من أبرز العلماء الذين عُهد إليهم أمر التجديد والإصلاح الديني في الديار اليمنية إبان تلك الفترة، حيث جَهَرَ بَيْنَ ظهرانيْ قومه من الزيدية برفض التقليد والتعصب للمذاهب والفرق الكلامية، ودعا إلى الاعتصام بالقرآن والسنة.

انحصر الغرض الرئيس من البحث في دراسة منهج الرجل في الاستدلال العقدي، وذلك على ضوء كتابه النفيس "ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان"، الذي انتصر فيه للطريقة القرآنية في البرهان والاستدلال على العقائد كما سيأتي بيانه في متن البحث.

الكلمات المفتاحية: ابن الوزير- الاستدلال - النقد - أصول الاعتقاد - المتكلمون.

Abstract:

This article treats the contributions of one of the most prominent Yemeni scholars during the ninth century (A.H), which did not receive much attention and celebration by researchers and scholars. Indeed, a lot of polemic was raised about his sectarian affiliation, which led to his intellectual and doctrinal career. He was initially affiliated with the Zaydi scholars, then it was believed by a number of scholars, based on what he wrote himself in his famous books, that he had won the Sunni way by exhorting him to adhere to the first principles of Islam (the Qur'an and Sunnah).

This is related to the scholar of «Yemen», Muhammad bin Ibrahim bin Ali, known as Ibn Al-Wazir Al-Yamani (775840- AH).

The main purpose of the research was confined to studying the man's approach to doctrinal argumentation, in the light of his book " ترجيح أساليب القرآن", in which he triumphed over the Qur'anic method in proving and inferring the beliefs as will be explained in the body of the research.

Keywords: Ibn Al-wazir- Argumentation- Criticism- Origins of belief- theologians

مقدمة:

ليس الاستدلالُ العقديّ المبني على التأصيل القرآني للعقيدة قائمًا على مجردِ إيرادٍ مضطرد للنصوص الشرعية، مع العناية بطرق وأشكال عرضِها وترتيبها وتبويبها تحت عنوان من عناوين المباحث العقدية. كما أن هذا المنهج في الاستدلال ليس جديدًا ولا غريبًا في تراثنا الإسلامي، وتحديدًا في مجال علم الكلام وأصول الدين. غير أن هذا لا ينفي بتاتًا جهود ثلة من العلماء المحدثين الذين انصرفت همَمُهم لبحث مسألة **التأصيل القرآني للعقيدة** بأساليب وطرق عرض جديدة، وخطاب يستحضر رهانات العصر وسياقاته المعقدة؛ إذْ نهضت العديد من الإسهامات التي تنضوي تحت ما يعرف بـ "علم الكلام الجديد" بمسألة **تجديد الدرس العقدي وبعثه ومحاولةِ تخليصه من تعقيدات واستشكالات فرق أهل الكلام بالشكل الذي عُهِد في تاريخ الفكر الإسلامي**؛ سجالات وخصومات فكرية-عقدية ورّثتْ تراثًا لا يستهان به في علم الكلام، لكنه في الوقت ذاته ليس مُنقّحًا ولا منخولًا من مظاهر التعصب المذهبي والطائفي، فضلا عن آفة الإغراق في دقائق الكلام ومباحث الطبيعيات المعقدة، وهو الشيء الذي رآه الكثيرون بعيدًا عن المنهج القرآني في إقامة أصول الاستدلال على العقائد الإيمانية.

إن مدرسة التأصيل القرآني للعقيدة

شـكَّلتْ محـاولات جـادةً تـروم تنـاول مسـائل العقيدة وعرضها ومدارستها من خلال أصولها ودلالاتها الكلية على منوال الطريقة القرآنية، أو ما يسميه البعض بالاستناد إلى الأدلة الجُمليَّة (الإجمالية) المتسمة بالوضوح والبساطة واليقينية والتأثير المباشر في المخاطبين. والأمر يستلزم تبعًا لذلك أن تقاربَ من خلال بعدها العملي والتربوي (العقيدة والتزكية)، مع استبعاد أساليب الاستدلال الفلسفية والمنطقية التي تجنح إلى التعقيد، وبناء النتائج على المقدمات الصورية وما إلى ذلك من طرق ومسالك الاستدلال المعروفة عند الفلاسفة والمتكلمين. أما الدليل على أن هذا التوجه في الدرس العقدي ليس وليد الجهود الحديثة والمعاصرة فهو ما دَبَّجَتْهُ أقلامُ ثلة من العلماء المتقدمين في هذا المضمار ولو أخذت أحجامًا مختلفة، ووردت في سياقات متباينة. ذلك أن من هؤلاء من اقتحم المجال من زاوية رفض التعصب والتقليد كما هو الحال مع ابن الوزير اليماني في "**ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان**" -وهو موضوع الدراسة-، بينما ثلة من المتقدمين رامت ربط مسألة الاستدلال العقدي بِرِهَانِ التربية والتعليم والتزكية من منطلق تلازم العلم والعمل. كما نجد كتابات أخرى جعلت منتهى غايتها تبسيطَ الدرس العقدي وتيسير سبل تلقينه وتلقِّيه.

يندرج ضمن السياق الأخير على سبيل المثال لا الحصر كتاب "**النور المبين**" لابن جزي الغرناطي، دون غض الطرف بالطبع عمَّن تصدوا للتأليف توسعًا وتدقيقًا في إبطال مسالك الاستدلال المنطقية والفلسفية كما هو الحال مع ابن تيمية في عدد من مصنفاته على رأسها "**درء تعارض النقل والعقل**". ومنهم أيضًا من ألف في هذا المجال في سياق ذم **بعض** مسالك الاستدلال في علم الكلام ونقد **بعض** مناهج المتكلمين التي لا يقصد الشارع الحكيم حمل العامة عليها على حد تعبير ابن رشد، في "**الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة**"[(2)]، وكما هو الشأن أيضًا مع أبي حامد الغزالي في "**إلجام العوام عن علم الكلام**"[(3)].

لقد ظلت مناهج الاستدلال على العقائد بالنسبة لأبرز الفرق الإسلامية المختلفة بعيدة عن التطابق التام كما هو الشأن أيضا مع عدد من قضايا علم الكلام الشائكة. فمكانة هذا العلم لم تحظَ بنفس الحظوة والاحتفاء عند علماء الإسلام بحكم اختلاف انتماءاتهم المذهبية وخلفياتهم العقدية والكلامية، ويبدو أن الجدل في مجمل تلك القضايا كان سيد الموقف في المشهد الفكري لتاريخ طويل من التفاعل والتطور في بنية الفكر الإسلامي.

ما يستأثر بالاهتمام في هذه الصفحات هو تسليط الضوء على إسهامات واحد من

---

(2) ابن رشد، **الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة**، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت. 1998. ص67.

(3) الغزالي، أبو حامد، **إلجام العوام عن علم الكلام**، دار الكتاب العربي، ط1. بيروت. ص53.
وأيضًا:
- فودة، سعيد عبد اللطيف، **موقف الإمام الغزالي من علم الكلام**، ط1، دار الفتح للدراسات والنشر. 2009. ص60.

أبرز علماء اليمن إبان القرن التاسع الهجري، والذي لم يحظ بكثير من الاهتمام من لدن الباحثين والدارسين في المغرب خصوصًا، بل لقد أثير حوله عمومًا كثير من اللغط والجدل بشأن انتمائه المذهبي الذي مات عليه تحديدًا، فقد كان مبدئيًا ينتسب إلى علماء الزيدية أحد المذاهب الشيعية المعروفة، ثم ترجح لدى الغالبية من الدارسين أنه تمذهب -أخيرًا- بمذهب أهل السنة والجماعة. إن الأمر يتعلق بعالم اليمن **محمد بن إبراهيم بن علي المعروف بابن الوزير اليماني**، وقد عاش في الفترة الممتدة ما بين: 775-840هـ. وهو صاحب مؤلفات في غاية النفاسة نخص منها على التوالي: "**العواصم والقواصم**"، "**إيثار الحق على الخلق**"، "**الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم**"، ثم كتاب "**ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان**". وهو العالم المجدِّد الذي صدح برفض التقليد والتعصب لأي مذهب كان.

ويتجلى الغرض الرئيس من البحث في دراسة منهجه في الاستدلال العقدي في ضوء كتاب النفيس الموسوم "**ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان**"، والذي انتصر فيه للطريقة القرآنية في البرهان والاستدلال على العقائد، ومنتقدًا مسالك الفلاسفة في البرهان، وطرقَ من سلك نهجهم مِنْ متكلِّمي الإسلام الذين انحرفوا -على حد قوله- عن منهج القرآن الواضح والساطع في البرهنة على الاعتقادات التي كلِّف بها المؤمنون. بينما الوحي وأدلته فيها الكفاية الشافية لطالبي الدليل على العقائد. غير أن هذا الغرض الرئيس لم يمنع من إيراد نصوص وأقوال أئمة آخرين انصبت جهودهم في نفس السياق، وهو الانتصار للطريقة القرآنية في الاستدلال العقدي.

منهج البحث:

نحاول مقاربةَ الموضوعِ على ضوء منهج وصفي-تحليلي، يتناول على وجه الإجمال مفهوم الاستدلال العقدي ودلالاته الكلامية، كما يحيط بجوانب من شخصية ابن الوزير، ويعرف كذلك بنتاجه العلمي والمعرفي، دون صرف النظر عن أبرز المحطات والمعالم التي أطرت عصره. وسيتركز جانب التحليل على منهجه في عرض قضايا العقيدة والاستدلال عليها، علاوة عن رؤيته النقدية لأقوال المتكلمين الذين أخذوا بطريقة الاستدلال المنطقي والفلسفي.

المبحث الأول:
مدخل تمهيدي:

أولًا:
مفهوم الاستدلال ودلالاته:

أ. الاستدلال لغة واصطلاحًا:

يقال استدل فلان على الشيء: **طلب دلالةً عليه، واستدل بالشيء على الشيء: اتخذه دليلا عليه، واستدل على الأمر بكذا: وجد فيه ما يرشده إليه**. وإذا كانت الدلالة

في اللغة تعني الإرشاد، والدليل هو ما يرشد ويوصل إلى المطلوب، فالاستدلال هو **طلب الإرشاد والاهتداء إلى المطلوب**[4].

يُبنى لفظُ الاستدلال على وزن "استفعال"، ويدل على الطلب أساسًا، وهو يفيد عمومًا معنى طلب الدليل المرشد للمطلوب. ويُطلقُ لفظ الاستدلال كذلك على **نوع خاص من الدليل**، أو إقامة الدليل مطلقا كما ذكر الكفوي[5]. أما الجرجاني في التعريفات فعرفه بما يأتي: هو "**تقرير الدليل لإثبات المدلول**"[6].

لقد تفاوتت التعريفات الاصطلاحية لكلمة الاستدلال، وذلك تبعًا لتباين التخصصات والحقول المعرفية التي تقارب هذا المفهوم من فقه وأصول ومنطق وكلام، غير أنها تدور جميعًا حول الدليل والبرهان، سواء كان دليلًا عقليًا كالقياس والاستقراء والتمثيل، أو شرعيًا من نص أو إجماع أو قياس أصولي. فعادة ما يرد معنى الاستدلال عند الفقهاء بإيراد وذكر الدليل حول المسألة المقررة، وبمعنى أعمق يطلق عند الفقهاء ويقصد به **الاجتهاد الذي يمارسه الفقيه من أجل استفادة الأحكام من الأدلة المعلومة**، وبهذا يكون الاستدلال عبارة عن **مجموع القواعد والقوانين والكليات -الشرعية والعقلية- التي يتوسل بها لبلوغ المطلوب المتمثل في الحكم الشرعي المناسب للمسألة المستدل عليها أو النازلة الطارئة**[7].

ب. الاستدلال عند علماء الكلام:

يعدُّ علمُ الكلام من العلوم الإسلامية التي يحضر فيها الاستدلال بقوة، وإذا كان علم الكلام يعرَّف بأنه "**علم يروم إقامة الأدلة على صدق وصحة العقائد الإيمانية، وهو علم يُقْتَدر معه على إثبات العقائد الدينية وإبراز الحجج، ودفع الشبه**"[8]، فإن صور الاستدلال تتنوع وطرقه تتشعب؛ من الاستدلالات المباشرة وغير المباشرة، والتوسل بكل ما يفيد في تحصيل الغرض وتأدية المطلوب من طرق الاستدلال، فيُلجأ إلى الطرق التي تتناسب مع أوضاع المخاطبين الفكريّة والروحيّة وظروف الزمان والمكان التي تحيط بهم.

عرفه الباقلاني في "التقريب والإرشاد" بقوله: "**فأما الاستدلال فقد يقع على النظر في الدليل والتأمل المطلوب به العلم بحقيقة المنظور فيه. وقد يقع أيضًا على المساءلة عن الدليل والمطالبة به**"[9]. وحدَّده ابن حزم في "الإحكام في أصول الأحكام" بالقول: "**الاستدلال طلب الدليل من قبل معارف العقل ونتائجه، أو من قِبَل**

(4) التهانوي، محمد علي. **كشاف اصطلاحات الفنون**، تحقيق لطفي عبد البديع. ط1، المؤسسة المصرية العامة. 1382 هـ ص151.

(5) الكفوي، أبو البقاء. **الكليات**، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري. ط2، مؤسسة الرسالة. بيروت. 1413 هـ. ص114.

(6) الجرجاني، علي بن محمد. **التعريفات**، دار الكتب العلمية، ط3، 1408هـ، ص17.

(7) العريفي، سعود عبد العزيز. **الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد**. ط1، دار عالم الفوائد. 1419هـ.

(8) الإيجي، عبد الرحمن بن أحمد. **المواقف في علم الكلام**، ط1، عالم الكتب. بيروت.

(9) الباقلاني، أبو بكر. **التقريب والإرشاد**، تحقيق عبد الحميد أبو زنيد، ط2، مؤسسة الرسالة. 1998م. ص108.

إنسان يعلم"[10]، وكذا الجويني في "البرهان" بقوله: "**اختلف العلماء المعتبرون والأئمة الخائضون في الاستدلال، وهو معنى مشعر بالحكم مناسب له فيما يقتضيه الفكر العقلي من غير وجدان أصل متفق عليه والتعليل المنصوب جار فيه**"[11].

ثانيًا: دلالة المركب الإضافي "الاستدلال العقدي":

عندما يُوظف مصطلح الاستدلال في المجال العقدي، فهذا يؤْذنُ بأنَّ مسالك الاستدلال ومسارات طلب الدليل المنهجية لا بدَّ أن تزداد حصرا ودقةً، لتشمل عدد من طرائق وقواعد الاستدلال في باب التصورات والاعتقادات. ويجوز القولُ إنَّ الاستدلالَ العقدي هو: "**طلب الدليل الموصل إلى تحقيق القول في قول اعتقادي أو زعم تصوري، معه تتأكد صحة ذلك القول والاقتناع به، أو على العكس بطلانه ومرجوحيَّته**"[12]. الأمر بلا شك يستدعي النظر والتأمل في الدليل حسيًا كان أو عقليًا، والاجتهاد في إدراك دلالاته وكنهه. كما أنه مراتب متفاوتة في كشف الأدلة وتقليب الحجج ومناقضة حجج الخصوم. إذا كانت الغاية من الاستدلال هي أولا تحصيل القناعة الذاتية أو ما يعبر عنه بالبرهنة على صحة المطلوب، فهي تتعدى ذلك لتحقيق القناعة ذاتها لدى الغير بالحجة والبرهان، وهو ما يعرف بالاستدلال لمحاجة الخصم وإبطال قوله، وتلك أبلغ صور الاستدلال على العموم[13].

إن المتأمل في التراث الذي خلَّفه علماء وأئمة الإسلام، يجده يحمل أنماطًا وطرقًا متعددة من الاستدلالات والبرهنة، وخاصة في المؤلفات التي تنضوي تحت صنف المناظرات، وتحمل طابع الجدل والحجاج من جهة الغاية من تأليفها. استدلالات ارتقت إلى مراتب مناهجَ في النقد ومطارحات في الفكر والعقيدة، ونمثل في هذا المقام بما ألفه أحمد ابن تيمية في "درء التعارض"، "الرد على المنطقيين"، وغيرها من المؤلفات التي كتبها هذا العالم المسلم الذي أقر الجميع بقدراته الحجاجية وطرقه المعمقة في الاستدلال، وكذلك جانب من المؤلفات التي كتبها ابن حزم الأندلسي الذي جادل في كل شيء تقريبًا، وكان على رأس المذهب الظاهري بدون منازع، ويعد كتابه "الفِصَل في الملل والأهواء والنحل" موسوعة علمية في الجدل الديني والنقد الأدبي للنصوص الكتابية.

لقد أبرز فيه معالم متقدمة من منهج النقد

(10) ابن حزم، علي بن أحمد، **الإحكام في أصول الأحكام**، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1983م،ج1، ص39.

(11) الجويني، عبد الملك (أبو المعالي)، **البرهان في أصول الفقه**، 161/2.

(12) العميري، سلطان وآخرون، **صناعة التفكير العقدي**، مركز تكوين للدراسات، ط1، 2014م، ص173.

(13) العميري، سلطان وآخرون، **صناعة التفكير العقدي**، مركز تكوين للدراسات، ط1، 2014م، ص173. وكذا: الشافعي، حسن محمود، **المدخل إلى دراسة علم الكلام**، ط2، مكتبة وهبة، القاهرة، 1411هـ.

المبني على مسالك من الاستدلالات العقلية، واللغوية، والأصولية، والكلامية. ناهيك عن مؤلفات علم الكلام التي تعد بلا شك موردًا معرفيًا تستقى منه طرق الاستدلال وأساليب الردود والمناقضة.

ثالثًا: نبذةٌ عن ظروف عصر ابن الوزير وومضات من سيرته:

أ. ظروف عصر ابن الوزير:

عاش ابن الوزير اليماني إبان الربع الأخير من القرن الثامن، وبداية النصف الأول من القرن التاسع الهجري (775-840هـ) في ظرف سياسي غير مستقر بتاتًا، فقد كان عصره مطبوعًا بالنزاع بين الدويلات والإمارات المتنافسة على السلطة في اليمن: "**وإذا كان تعدد الدول الحاكمة على أرض اليمن ومحاولة كل منها توسيع رقعتها على حساب الأخرى، كان من أكبر العوامل التي حرمت اليمن استقرارها، وزكت الصراعات بين الطوائف الدينية في اليمن والتي كانت أيضًا من أهم العوامل التي حرمتها الاستقرار، خاصة تلك الصراعات السياسية والدينية بين أئمة الزيدية، حكام المال اليمني في "صعدة" و "صنعاء" و"زمار"، وبين السلاطين والأمراء العباسيين والأيوبيين في "عدن" و"تعز" و"زبيد"...منذ القرن الثالث الهجري**"[14]. خيَّم جوٌّ مشحون بالتوتر والخلافات العقدية بين الزيدية والمذاهب السنية وغيرها على السياق الثقافي والديني باليمن حينها، وطغت فيه لغة المذهبية والتبعية والتقليد، بل والتعصب للفرقة والمذهب الزيدي[15]، على وجه الخصوص في المناطق التي نشأ فيها ابن الوزير، مع العلم بأن المذاهب السنية (الحنفية والشافعية على الخصوص) كان لها حضورٌ في صنعاء نفسها فضلًا عن جنوب اليمن وساحله[16].

ويأتي الاهتمام بابن الوزير وبمؤلفاته من باب كون هذا الأخير من العلماء المسلمين الذين وُسموا بنزعة الاجتهاد والتجديد بعد قرون عديدة من التقليد الذي غلب على عقول المسلمين فقهاء وعامة في بلاد اليمن كما في باقي البلاد الإسلامية الأخرى، وخاصة أن التعصب المذهبي طبع الفكر الإسلامي خلال مراحل طويلة من تاريخ الأمة الإسلامية، وأفضى إلى حدوث شرخ في صفها ووحدتها، بل كان سببًا -في الكثير من الأحيان- للتنازع والتحارب بين أتباع المذاهب والفرق المختلفة.

على الرغم من تعرض آثاره العلمية والفكرية للطمس على يد مخالفيه من الزيدية

(14) انظر: الأفندي، سعيد أحمد، **قواعد المنهج عن ابن الوزير**، مرجع سابق، ص21 وكذا:
- شرف الدين، أحمد، **اليمن عبر التاريخ**، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، 1963م، ص: 183 وما بعدها.

(15) الزيدية فرقة من فرق الشيعة، تنسب إلى زيد بن علي بن الحسين. ما تزال باقية حتى اليوم، غير أنها فرقة تتسم بالاعتدال في التشيع لآل البيت النبوي، وهم أقرب إلى أهل السنة من الشيعة الإمامية (الجعفرية)؛ فعلى رغم أنهم يرون الإمامة الحق في علي بن أبي طالب كرم الله وجهه إلا أنهم لا يكفرون الصحابة ولا يتبرؤون من الخليفتين أبي بكر وعمر ﷺ. انظر: (الشهرستاني، عبد الكريم، **الملل والنحل**، دار القلم، القاهرة، ص207).

(16) المرجع السابق، ص26.

الذين ناصَبَهُ العديدُ منهم العداءَ متهمين إياه بالخروج على مذهب شيوخه، مذهب آل البيت (الزيدية)، فقد ذاع صيته في الأرجاء وتمكن بفضل علمه ومنهجه النقدي من تبليغ رسائله، وترك عدد من المؤلفات النفيسة التي لا غنى عنها.

ب. ترجمة ابن الوزير:

هو محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى[17]، يمتد نسبه إلى الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه، ويلقب بـ "عز الدين"، لكن أشهر ألقابه هو "ابن الوزير"[18]. كانت ولادته في عام 775هـ في *شظب* (أحد جبال اليمن الشاهقة) في سودة. توفي ابن الوزير عن عمر ناهز الخامسة والستين عامًا بصنعاء في السابع والعشرين من شهر محرم سنة 840هـ[19].

أورد الشوكاني في معرض ثنائه على ابن الوزير: "**وبالجملة فصاحب الترجمة ممن يقصر القلم عن التعريف بحاله، وكيف يمكن شرح حال من يزاحم أئمة المذاهب الأربعة فمن بعدهم من الأئمة المجتهدين في اجتهاداتهم**"[20].

ويذكر العديد ممن ترجم له، وخاصة الشوكاني[21] أنه من المجددين للإسلام في الديار اليمنية، ونجم من نجوم الاجتهاد البعيدين عن الغلو والتعصب؛ ذلك أنه نبذ التقليد والتعصب عمومًا، وخاصة للمذهب الزيدي الذي كان مذهب الجمهور في صعدة وغيرها باليمن خلال عصره. فضلًا عن ذلك فقد أفنى حياته في الذب عن سنة النبي الكريم واتباع سلف الأمة من الصحابة والتابعين والأئمة الأكابر ومقارعة أهل البدع[22]، وكان من دعاة الرجوع إلى الينابيع الأولى للإسلام: القرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ، بحيث يقول في هذا الصدد: "**أكثر التعجب من جماعة من أكابر العلماء المتأخرين الموجودين في القرن الرابع وما بعده، كيف يقفون على تقليد عالم من العلماء، ويقدمونه على كتاب الله وسنة رسوله؟**"[23].

لقد تميز ابن الوزير اليماني بمنهج نقدي واضح المعالم والسمات، حيث جادل وناقش المتكلمين في آرائهم وطرق استدلالهم العقدي، وخاصة في طرق إثبات الصانع سبحانه وتعالى، لكنه لم يحد عن الموضوعية والحياد والبحث عن الحقيقة بصرف النظر عمن كان صاحبها. "**والمطالع لكتاب من كتبه مثل**

(17) الزركلي، خير الدين، **الأعلام**، ج 6، ص191.

(18) لقب بذلك الاسم؛ لأن جده الخامس تخلى عن الإمامة كي تتفق الأمة على البيعة لابن حمزة، فأطلق عليه اسم العفيف. واشترط عليه المنصور المؤازرة له فكان وزيرًا، فأطلق عليه هذا اللقب... ومن هنا نشأت أسرة ابن الوزير. انظر: قواعد المنهج عند ابن الوزير، مرجع سابق، ص34.

(19) ابن الوزير، محمد بن إبراهيم، **ترجيح أساليب القرآن**، (مقدمة)، ص6.

(20) الشوكاني، بدر الدين، **البدر الطالع**، مرجع سابق، 90/2.

(21) الشوكاني، محمد بن علي (بدر الدين)، 1348 هـ، **البدر الطالع**، مطبعة السعادة، 20/2.

(22) ينظر في كتب ابن الوزير: **العواصم والقواصم - الروض الباسم- إيثار الحق - ترجيح أساليب القرآن**... قال: "**وإني لما تمسكت بعروة السنن الوثيقة، وسلكت سنن الطريقة العتيقة، تناولتني الألسن البذية، من أعداء السنة النبوية، ونسبوني إلى دعوى في العلم كبيرة، وأمور غير ذلك كثيرة**" (**الروض الباسم**7،8/1).

(23) نفسه، ص82-84.

"العواصم والقواصم"، والذي يعتبر كتابًا نقديًا موسوعيًا، يندهش من براعته في كثرة ما يسرده في المسألة الواحدة من الوجوه المختلفة، والتنبيهات اللاذعة، والإشكالات المحيرة، والإلزامات المفحمة، والبراهين الصادعة؛ العقلية والنقلية، ويؤكد كل ما يذهب إليه بعشرات من الأسانيد القرآنية والنبوية والعقلية، ولا يغفل أن يعرض لعشرات من المؤلفات السابقة ولكثير من العلماء والأئمة المتخصصين في مختلف العلوم الإسلامية"[24].

منْ يقف على حياة ابن الوزير اليماني بتفاصيلها وحيثياتها يمكنه أن يميز بين ثلاث مراحل كبرى طبعت مسيرة وسيرة هذا العالم الكبير الذي أثير حوله الكثير من الكلام والجدل بشأن انتمائه المذهبي والكلامي وتحوله من المذهب الزيدي الإمامي، إلى منافح عن السنة ومنهج سلف الأمة الصالح من الصحابة والأئمة التابعين.

ج. محطات بارزة في حياة ابن الوزير العلمية:

- مرحلة النشأة ورحلة طلب العلم:

لقد ترعرع ابن الوزير بين أحضان أسرة شغوفة بالعلم وطلبه، بل إن تتبع تاريخ هذه الأسرة يؤكد أن لا أحدَ من أفرادها شذَّ عن هذا الطريق[25]. وقد أمضى شطرًا من حياته في حفظ القرآن الكريم، والتجول بين كراسي العلماء ومجالسهم مستثمرًا ما طبع عليه من حب للعلم والعلماء. يقول ابن الوزير عن تلك المرحلة من عمره: "**وإني لما نشأت بين كراسي العلماء الأكابر، وتربيت بين عيون أهل البصائر...لم يكن حتمًا أن يرجع طرف نظري عن المعارف خاسئًا حسيرًا**"[26].

لم تخرج رحلة طل العلم عند ابن الوزير عن الديار اليمنية ومكة المكرمة. وخلاصتها ما ذكره الشوكاني قائلا: "**والحاصل أنه قرأ على أكبر مشايخ صنعاء وصعدة وسائر المدائن اليمنية ومكة، وتبحر في جميع العلوم، وفاق الأقران واشتهر صيته وبعد ذكره وطار علمه في الأقطار**"[27].

- مرحلة التأليف والتحقيق والمناظرة:

بعد إتمامه لتحصيل العلوم، انكب ابن الوزير على تحرير وكتابة الرسائل، وتصنيف المؤلفات، وقد تركز اهتمامه في هذه المرحلة على علوم القرآن والدفاع عن السنة النبوية، بخلاف المرحلة السابقة التي انصب جهده فيها على مطالعة كتب الكلام والرد على المخالفين والنظر في مقالات "أهل الضلال". وفي

(24) الأفندي، سعيد بن أحمد. 1428 هـ. **قواعد المنهج عند ابن الوزير اليماني**، ط 1، مؤسسة المختار، القاهرة، ص14.

(25) الحجر، رزق، **ابن الوزير اليماني ومنهجه الكلامي**، ط1، الدار السعودية للنشر والتوزيع، الرياض، ص27.

(26) اليماني، ابن الوزير. (بدون تاريخ)، **الروض الباسم**، 403/1، الطباعة المنيرية. القاهرة.

(27) الشوكاني، بدر الدين. **البدر الطالع**، 2/ 81،82.

هذه المرحلة من عمره أيضًا رسخَتْ قدماه على أعتاب الدعوة إلى الاجتهاد ونبذ البدع والتقليد[28]. ولم يسلم كغيره من دعاة التجديد والنظر من الخصومات مع عدد من المخالفين والمعارضين له سياسيًا ومذهبيًا، والذين بادروا لكتابة القصائد المتحاملة ضده والمنددة به، والناقدة لمنهجه الذي بدا خارجًا عن تقاليد المدرسة الزيدية باليمن. لكنه لم يتوانَ بدوره في الرد عليها، ومقارعة حججها بأدق البيان والمحاجة، وبأبدع أسلوب في الاستدلال والتأصيل القرآني للعقائد؛ عموده في ذلك أنه لا مجال للمقارنة بين الأسلوب القرآني في إقامة الدلائل العقلية على وجود الخالق ووحدانيته، وبين المناهج العقلية والأساليب اليونانية التي ورثها المتكلمون وانغمسوا فيها من الأقيسة والأدلة التي يستعصي الإلمام بها.

وأبرز ملامح هذه المرحلة أن ابن الوزير ألف فيها أعظم كتبه، وجادل خصومه مؤكدا رفضه التقليد المذهبي ومعلنا فتح باب الاجتهاد، إضافة إلى لزومه تدريس العلوم ومحاولة رأب الصدع بين الفرق والمذاهب الإسلامية في مسائل التوحيد وعلم الكلام. "**وهكذا نهض ابن الوزير يدعو إلى ترك الأساليب المنطقية اليونانية لما في القرآن الكريم من غنى كامل عن تلك المقولات والاصطلاحات الغريبة، وأنه أساس استنباط البراهين العقلية**"[29]. وفي هذا السياق يأتي الحديث عن كتابه "ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان" الذي رد فيه على المعتزلة وغيرهم من المخالفين ممن ادعى قصور القرآن عن الوفاء بالدلالة على إثبات وحدانية الخالق ﷻ.

- مرحلة الزهد واعتزال الناس:

في هذه المرحلة من عمر ابن الوزير، آثر اعتزال الناس وترك مجالس التدريس في المحيط الزيدي بصنعاء وصعدة بسبب ما حصل بينه وبين شيوخه وأهله من الزيدية[30]، وكذا ترك الخوض في الكلام ومسائله، وكرس باقي حياته للتعبد والانقطاع والذكر حتى توفي عن سن ناهز الخامسة والستين عامًا[31]. وعلى الرغم من ذلك فقد ألف في عزلته الأخيرة كتابين هما: "أنيس الأكياس في الاعتزال عن الناس"، و"كتاب العزلة"، وهناك من الباحثين من قال إن آخر ما كتب ابن الوزير هو كتاب "إيثار الحق على الخلق". وقد أثنى على ابن الوزير الحافظ ابن حجر العسقلاني قائلًا: "... **وله أخ يقال له محمد بن إبراهيم، مقبل على الاشتغال بالحديث، شديد الميل إلى السنة بخلاف أهل بيته**..."[32].

(28) **ابن الوزير اليماني ومنهجه الكلامي**، مرجع سابق، ص33.

(29) الحربي، علي جابر، **ابن الوزير وآراؤه الاعتقادية**، جامعة أم القرى (رسالة جامعية بإشراف محمد سليمان داود)، 1985م، ص59.

(30) ابن الوزير، محمد بن إبراهيم، **الروض الباسم**، ص 120_130.

(31) ينظر: **البدر الطالع** 92/2، **وترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان**، ص61، والأعلام، 191/6، **والضوء اللامع** للسخاوي، 272/6، وكذا **هدية العارفين للبغدادي**: 190/2

(32) ذكره ابن حجر في معرض ترجمة شقيق ابن الوزير المدعو (الهادي)،

= انظر: العسقلاني، ابن حجر، **إنباء الغُمر بأنباء العُمر**، تحقيق: حسن حبشي، إحياء التراث، القاهرة، 1969م.

المبحث الثاني:
قواعد ومعالم منهج ابن الوزير في الاستدلال العقدي:

أولًا:
دواعي تأليف الكتاب:

وضع ابن الوزير لكتابه عنوانًا عريضًا، حيث سماه "**كتاب ترجيح أساليب القرآن لأهل الإيمان على أساليب اليونان في أصول الأديان وبيان أن ذلك إجماع الأعيان بأوضح التبيان**". وهو من مؤلفاته المتوسطة، بحيث يقع في حوالي مائتي صفحة تقريبًا[33]. أما غرضه الرئيس من تأليفه لهذا الكتاب فهو بيان فضل القرآن، وانفراده بأنجع وأحسن الطرق في الدلالة على الواحد الأحد سبحانه وإثبات العقائد الدينية الغيبية، بخلاف المسالك الوعرة التي ابتدعها الفلاسفة وأهل المنطق والكلام. ومن كلامه في مقدمة المؤلَّف "**حيث أربى لما أودَعَه (فيه) من البراهين العظام على فنَّيْ المنطق والكلام، لما فيه من النفع العام للخواص والعوام، ولسلامته مما اشتملا عليه في الجليات من فُضْلات الكلام، والتعب الكثير في مجرد فهم عبارات الفلاسفةِ الطّغامِ، وفي الخفيات من التعمق والأوهام، والمشي وراء الفلاسفة والمبتدعة في مداحِض الأقدام**"[34].

أوضح ابن الوزير أن الباعث على تأليف الكتاب يكمن أساسًا في إلجام فئة من المتكلمين والمشتغلين بالعلوم العقلية، الذين أهملوا علوم القرآن وزعموا أنه قاصر في معرفة أصول قواعد الدين، وإثبات وجود الصانع سبحانه. وقد بادر ابن الوزير إلى مناقشة قوانين ومقدمات المتكلمة وأمعن في مجادلتهم بجنس طرقهم ومسالكهم. غير أن سعيه الأبرز تجلى في الانتصار للبراهين القرآنية، ومسالك الاستدلال التي انتهجها الأنبياء وسلف الأمة الصالح من الصحابة والأئمة[35]: فأي شيء أعظم قدرًا ونفعًا وأثرًا من القرآن الكريم، وكيف يقارن كتاب رب الأرباب بتصانيف المتقدمين المتعمقين، وتدقيق المتكلمين. إن القرآن الكريم -كما ذكر ابن الوزير- أساس لاستنباط الأدلة العقلية، لذا خصص صفحات عدة نقل فيها كلام علماء الأمة الإسلامية في ترجيح براهين القرآن الكريم في التوحيد والنبوات والغيبيات؛ لأن أدلته "**قاطعةٌ جليةٌ تسبق إلى الأفهام ببادئ الرأي وأول النظر، ويشترك كافة الخلق في دركها، فأدلة القرآن والسنة مثل الغذاء ينتفع به كل إنسان، بل كالماء الذي ينتفع به الصبي والرضيع والرجل القوي، ولهذا كانت أدلة القرآن سائغة جلية**"[36].

وما دام جُل أئمة الزيدية في بلاده من مخالفيه وخصومه في العقيدة، فهو لم

(33) الطبعة المعتمدة: مطبعة المعاهد، القاهرة، سنة 1349هـ/1931م.

(34) ابن الوزير، محمد بن إبراهيم، **ترجيح أساليب القرآن**، ص7.

(35) ابن الوزير اليماني، **ترجيح أساليب القرآن**، مطبعة المعاهد، 1349هـ، ص55.

(36) نفسه، ص24.

يتوان عن سرد وإيراد الكثير من النصوص المروية[37] عن آل بيت الرسول كعلي بن أبي طالب والحسن والحسين رضوان الله عليهم، وكلها تجمل المعنى في ذم الغلو في الكلام، والخوض فيما لا تمس الحاجة إلى معرفته من علم الكلام... وتتمثل الحكمة من ذلك في جعلهم يقفون على حقيقة كونهم مخالفين لنهج أئمتهم "المعصومين" عكس ما يدعون.

ثانيًا:
منهج ابن الوزير في الاستدلال على العقائد الإسلامية:

سبقت الإشارة إلى أن ابن الوزير اليماني خاض معارك كلامية طويلة مع خصومه من الزيدية والمعتزلة والأشاعرة، فقد بدا ذلك واضحًا من خلال كتابيه "العواصم والقواصم" و"ترجيح أساليب القرآن"، وهما يضمان العديد من النقاشات والقضايا الجدلية حول أصول الدين (الإلهيات، الغيبيات-النبوات). وكان مستنده في ذلك الانتصار للطريقة القرآنية التي تنحو منحى التبسيط والوضوح والقطعية، فضلًا عن الإيجاز والبلاغة والبيان القوي الذي يناسب العامة والخاصة من المخاطبين، ووفق هدي سلف هذه الأمة الصالح. كل ذلك بمنهج نقدي يغلب عليه الجدل الذي يتأرجح بين أساليب الاعتراض والنقض وإبطال دعاوي الخصوم ودفع الشبه. ولا يتردد في الاستشهاد بالآثار والأخبار المروية عن الأئمة والعلماء من السلف ومن معاصريه أيضًا.

لا غرابة -إذن- أن نتحدث عن منهج نقدي خاص بابن الوزير، وقد ذكر الشوكاني أنه من العلماء الذين بلغوا مرتبة الاجتهاد، فبعد دراسته وتحقيقه لمختلف المدارس والمذاهب الفكرية (المرحلة الثانية) أعلن ابن الوزير خروجه عن التقليد المذهبي الذي كان مسيطرًا على اليمن منذ القرن الثالث الهجري، والمتمثل في المذهب الزيدي، ليبدأ مشوارًا جديدًا من السجال الفكري والتناظر المعرفي بينه وبين علماء وأئمة الزيدية، وغيرهم من الاتجاهات الكلامية كالمعتزلة والأشاعرة.

يتضح جليًا من خلال بعض مؤلفات ابن الوزير كالعواصم والقواصم وترجيح أساليب القرآن أن الرجل ليس من أعداء النظر الفكري والعلوم العقلية، لكنه نص على تهافت الكثير من الأدلة التي يعتمدها المتكلمون في التدليل على وجود الصانع مثل "دليل الأكوان" نموذجًا؛ وغيره مما أسماه بالطرق الملتوية التي لا تورث سوى الشكوك (دليل حدوث العالم والجوهر الفرد، دليلا الإمكان والوجوب) ...التي لا تبلغ بناشد الحق المبتغى المطلوب. وقد عاب في مواضع كثيرة من مؤلفاته على المتكلمين المسلمين الذين أخذوا بالطرق اليونانية والأقيسة المنطقية التي لا تصح في باب إثبات العقائد والغيبيات التي جاء بها الوحي.

على الرغم من تفضيله للبراهين القرآنية والأخبار الواردة في السنة على غيرها من الأدلة والأساليب التي تبناها المتكلمون، إلا أنه كان متمرسا في توظيف الأقيسة والاستدلالات

(37) نفسه، ص24 إلى 38.

العقلية الملزمة للمخالفين، وبخاصة أنه ارتأى الرد عليهم وإفحامهم بالطرق الجدلية والاستدلالات التي يسلِّمون بها بعد إيراد كلامهم ومناقشته. وتبدو طريقته أشبه بأسلوب ابن تيمية في الرد على المتكلمين ومناقشتهم في الأدلة التي يستندون إليها في إثبات العقائد والاستدلال عليها. يقول ابن الوزير في ذات السياق: "**خوض جميع المتكلمين في عقائدهم الخلافية بين الفرق الإسلامية يتوقف دائمًا أو غالبًا على الخوض في مقدمات تلك العقائد، وجميع تلك المقدمات مختلف فيها أشد الاختلاف بين أذكياء العالم وفحول علم المعقولات من علماء الإسلام، ودع عنك غيرهم. ومن شرط المقدمات أن تكون أجلى وألا تكون بالشك والاختلاف أولى**"[38].

لقد أكد ابن الوزير على جملة من القواعد المنهجية التي لا بدَّ منها لمن أراد الدفاع عن الحق والانتصار للمنهج الصحيح في إقامة البراهين على العقائد الدينية، من ذلك نذكر:

<u>أ- ترك التعصب وتصحيح النية:</u> "**فلا يكاد يسلم من الأغلاط إلا أحد رجلين: إما رجل ترك البدعة كلها والتمذهب والتقليد والاعتزاء إلى المذاهب والأخذ من التعصب بنصيب، وبقي مع الكتاب والسنة كرجل نشأ قبل حدوث المذاهب...ورجل أتقن العلمين العقلي والسمعي، وكان من أئمتهما معًا، بحيث يرجع إليه أئمتهما في وقائعهما ومشكلاهما. مع حسن قصد وورع وإنصاف وتحر للحق، فهذا لا تتخلف عنه هداية الله وإعانته**"[39]. وقد سبق ذكر كون ابن الوزير من نجوم الاجتهاد في الديار اليمنية ومجددي القرن التاسع الهجري، ناهيك عن كونه من دعاة نبذ التعصب والتقليد والابتداع في الدين، ولعل شهادات العلماء في حقه بصفته مؤرخ اليمن الكبير الإمام الشوكاني وغيره تُغْفينا من إطالة الكلام في هذه المسألة.

<u>ب- التواضع العلمي والإفادة من التراث النقدي السابق في علم الكلام:</u> فقد أشار في مؤلفاته إلى العديد من المصنفات السابقة، ونقل عن بعضها، وأورد كلام زمرة من العلماء البارزين كالغزالي وابن تيمية والسبكي وإمام الحرمين الجويني...فلا ضير من الاستفادة من الحجة الصحيحة والرأي السديد لمناصرة الحق والذود عنه.

كان ابن الوزير كثير الاطلاع على أقوال أهل الملل والنحل، ويخصص صفحات تلو الصفحات في التعمق في شرحها واستقصائها، إما بيانا لعدم صحة قول، أو ردا على دعوى فريق من المتكلمين، وأحيانا أخرى ساردًا حجج البعض من باب تعضيد ما يذهب إليه ويختاره من الأقوال والآراء[40]. لكنه على رغم ذلك يعبر في الكثير من الأحيان عن تواضعه وإفادته ممن هم أعلى

(38) ابن الوزير محمد بن إبراهيم، **إيثار الحق على الخلق**، ص15.

(39) نفسه، ص128.

(40) انظر على سبيل المثال لا الحصر: **ترجيح أساليب القرآن**، ص67-75.

كعبًا منه في علم الكلام ومسائله الدقيقة؛ فها هو يقول: "**وقد كنت ناظرت في ذلك مناظرات طويلةً وكتبتها وذهبت عني وبقي منها شيء. وقد رأيت على ما ذكره من هو أعض مني بالنواجذ على هذا العلم وأغوص مني على اللطائف في هذا البحر معترفًا بالتقصير في معرفة بعض عباراتهم في مقاصدهم الدقيقة**"[41].

ج- التأصيل القرآني للعقيدة: حيث اعتبر القرآن الكريم مصدر أدلة التوحيد، وعليه ينبغي الاستغناء به عن أدلة اليونانيين العقلية. ومن أجل ذلك وضع مؤلفه "ترجيح أساليب القرآن على أساليب/منطق اليونان"، فاستهله بمقدمة ذكر فيها عدد من التوجيهات والقواعد التي تبرز عظمة القرآن وكفاية أدلته ونصاعتها. أما المقدمات والتكلفات التي ذكرها أهل الكلام فلا تقارن البتة بالقرآن الكريم من حيث قدرها ونفعها وأثرها في النفوس والعقول[42]. وفي ختام ذلك حكى إجماع علماء الإسلام من جميع الطوائف على أن القرآن الكريم يفيد معرفة أدلة التوحيد من غير ظن ولا تقليد، بل القرآن الكريم هو الذي تعلم منه المتكلمون النظر، لكنهم -حسب ابن الوزير- غلَوا في النظر ولم يقتصروا على القدر الكافي النافع المذكور في كتاب الله تعالى[43]. ويضيف ابن الوزير أن "**في القرآن قدر خمسمائة آية...من الآيات المنبهة على الأدلة على الله تعالى مما نطق به القرآن، وعضده البرهان ليظهر للسائل (...) أنه يوجد طريق غير طريق الأكوان (الاستدلال بالعَرض الكوني أو حدوث العالم)**"[44].

د- القول بالنظر العقلي بضوابطه الشرعية: على الرغم من كون ابن الوزير يعتمد في إثبات العقائد الإسلامية على الطريقة القرآنية التي تعد أساسًا لاستنباط الأدلة العقلية[45]، وبالاستناد إلى السنة الشريفة، إلا أنه لا ينكر النظر العقلي والاستدلال به، فهو أصلًا عمدة فهم النصوص الشرعية وعليه المعول في فهم الدين الحنيف. لكن من الواضح أنه ينكر الاعتماد عليه في باب الإلهيات والتوحيد والغيبيات، فلا مجال للعقل المحض فيها، ولهذا وجدناه في كتاب "ترجيح أساليب القرآن" يدعو بجلاءٍ إلى سلْك مسالك الأنبياء والمرسلين، وطريقة السلف الصالح لهذه الأمة من الصحابة والأئمة الموثوقين[46].

وكما أنه لا مجال لفهم نصوص الوحي بدون نظر عقلي فيها، فلا مناص كذلك من النظر في مجالات أخرى كالتفكر في الكون والآفاق (**أو ما أسماه ابن الوزير دليل الأحوال**)، لمعرفة

(41) ابن الوزير، **ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان**، ص116.

(42) نفسه، ص10، 21.

(43) نفسه، ص17.

(44) نفسه، ص81.

(يقصد ابن الوزير بدليل الأكوان الخوض في مباحث الكلام الدقيق على منهج المتكلمين. وهو غير ما يطلق عليه دليل الأحوال والأجسام الذي احتج به الأنبياء والأولياء والأسلاف الصالحين -على حد تعبير ابن الوزير- أو دليل الآفاق، ولهذا خصص مبحثًا بعنوان: "بيان الحجة على الله من غير طريق الأكوان" انظر: ترجيح أساليب القرآن، ص78)

(45) **ترجيح أساليب القِرآن**، ص21.

(46) ترجيح أساليب القرآن، ص85-96.

أسرار الكون وعجائب الخلق وحكمة الصانع سبحانه. ولا يخفى أن الشرع الحنيف ندب إلى ذلك وأثنى على المتفكرين والمستخدمين لعقولهم. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١﴾[47]. كما حثَّ على النظر في آيات الله الكونية والوقائع التاريخية. "**فهناك ما يقرب من سبع عشرة آية في خمس عشرة سورة من سور القرآن الكريم**"[48].

مما لا شك فيه أن ابن الوزير على قناعة راسخة بصحة النظر العقلي في المجال الذي يصلح له، ولهذا أكد قائلًا: "**وهذا العالم كله، جواهره وأعراضه، علويه وسفليه مشتمل على الحكمة والإحكام والتدبير والإتقان، محدث بمادته وصورته، يدل كل شيء منه على انفراده على خالقه سبحانه كما قال القائل: وفي كل شيء له آية...تدل على أنه واحد**"[49].

إجمالًا، فابن الوزير يحصر النظر في أمرين: أولاهما في "**المخلوقات البديعة الصنعة، اللطيفة الحكمة، من سماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج وحيوانات ذوات آلات وأدوات...فإنك عندما تنظر إلى ذلك تعلم ضرورة عقب النظر أن لها صانعًا عالمًا حكيمًا قديرًا. والثاني حدده فيما يفيد النظرُ فيه العلمَ من قصص الأنبياء وأحوالهم**"[50]. وذلك ما يبرر ما ذهب إليه من مخالفة جمهور المتكلمين الذين جعلوا النظر بمعنى "**النظر في الأمور المخلوقة بخصوص ينبني على مقدمات مرتبة مركبة تركيبًا مخصوصًا على وجه ينتج العلم على سبيل الاختيار**"[51].

ودَرْءًا لكل التباس يوقع قارئ كلامه في مَظنَّة كونه ينفي النظر العقلي، أكَّد أنه يثبت النظر في أوائل (بديهيات) الأدلة على طريقة السلف كما نبّه عليه القرآن الكريم، وإنما المنع يكمن في التعمق في إثبات الأمور الجلية في النظر بطرائق أخفى منها[52].

هـ- نقد مناهج المتكلمين: وقعت بين ابن الوزير ومخالفيه من الزيدية والمعتزلة على وجه الخصوص خصومات كلامية طويلة، تضمنها بالأساس مؤلَّفه الموسوعي الموسوم بـ "**العواصم والقواصم**"، علاوة على الردود الكثيرة عن الرسائل والقصائد الموجهة إليه، التي حواها كتاب "ترجيح أساليب القرآن". ويبدو أن ابن الوزير أمعن في مجادلتهم بالأدوات والمفاهيم التي يتقنونها إلى درجة أن الشوكاني وصف ما جرى بينه وبين خصومه بالزلازل والقلاقل. فهو يحكي "**أن له (ابن**

(47) آل عمران: 190-191.

(48) الحربي، علي بن علي جابر، **ابن الوزير وآراؤه الاعتقادية**، مرجع سابق، ص380.

(49) ترجيح أساليب القرآن، ص81

(50) **نفسه**، ص47، **وقواعد المنهج عند ابن الوزير اليماني**، مرجع سابق، ص148

(51) نفسه، ص48.

(52) **نفسه**، ص104.

الوزير) معهم قلاقل وزلازل، وكانوا يثورون عليه ثورة بعد ثورة وينظمون في الاعتراض عليه القصائد"[53].

الملاحظ هو أن نقد ابن الوزير تركز على أدلة المتكلمين، الذين وصفهم بأنهم "**تكلفوا وتعمقوا وعبروا عن المعاني الجلية بالعبارات الخفية، ورجعوا بعد السفر البعيد إلى الشك والحيرة والتعادي والتكاذب**"[54]، وليس على علم الكلام ذاته[55]، فقد توجه بالنقد في كتابه "ترجيح أساليب القرآن" إلى طرق ومسالك التي انتهجها المتكلمون والفلاسفة، واعتبرها قريبة من الخفاء والبطلان[56]، بعيدة عن أسلوب القرآن وطريقته الواضحة القريبة إلى فطرة الله التي فطر الناس عليها، وبراهينه القاطعة الحافلة بالهدايات والدلالات.

عرض[57] ابن الوزير، في أثناء ذلك، جملةً من الأدلة والحجج التي تثبت عدم صحة الاستدلال **بالأكوان** القائم على الاستدلال بالأمور الدقيقة الخفية المحيرة للعقول؛ من القول بحدوث العالم وما يتعلق بذلك من جدل في المقدمات العقلية التي يصدر عنها، وكذا تضارب في الكلام بشأن مفاهيم الحركة والزمان والجواهر والأعراض، وغير ذلك مما نعته ابن الوزير، وغيره من علماء الإسلام قبله، بالطرق الملتوية المقترنة بالشكوك والمآخذ الكثيرة والتمحُّلات البيِّنة. ومفهوم دليل الأكوان بالتدقيق عند ابن الوزير هو عين ما يسميه المتكلمون بالاستدلال بالعرض الكوني "**المنقسم إلى الحركة والسكون والاجتماع والافتراق، بحيث يستدل به على حدوث الحادثات، ويسمى هذا الجنس من الأعراض بالأكوان لأنه مأخوذ من كون الجسم في المكان**"[58]. فضلًا عن كون الآيات القرآنية التي تحدثت عن وحدانية الخالق الموجد للكون لا تتوقف صحةُ الدلالةِ فيها على ثبوت العرَض الكوني (حدوث العالم). علاوة على ذكر أوضح ابن الوزير أن استدلال الأنبياء عليهم السلام، ومن سار على نهجهم، على العقائد الدينية إنما تأسس على طريقة الأحوال والآيات دون الأكوان[59].

خلاصة الكلام، إن طرق المتكلمين في الاستدلال العقدي لا توصل إلى اليقين؛ لأنها تنبني على "**مقدمات مختلِفٍ فيها أشدَّ الاختلاف بين أذكياء**

(53) الشوكاني، محمد بن علي. **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، مرجع سابق، ص91.

(54) **ترجيح أساليب القرآن**، ص50-51.

(55) يتأكد ذلك من قول ابن الوزير في كتاب آخر له (البرهان القاطع، ص56): "...**ليس القصد بهذا إنكار صحة علم الكلام، فإن فيه ما يُعلَم صحتُه بالضرورة، وإنما فيه إنكار اعتماد الأنبياء ومن عاصرهم من المؤمنين على أدلة الكلام الملخصة، وبيان أن الذي كان يكفي المسلمين**".

(56) ابن الوزير اليماني، محمد بن إبراهيم. **ترجيح أساليب القرآن**، ص85.

(57) نفسه، الصفحات75-85.

(58) نفسه، ص71-79.

(59) نفسه، ص84-85.

العالم وفحول علم المعقولات"[60].
فهم يعتمدون على الأقيسة وطريقة الاستقراء والجدل وقياس الشاهد على الغائب، وما يلي ذلك من الخوض في الأمور الدقيقة والطبيعية[61] التي ليست من أصول الدين، وهي كلها لا تفيد في باب الإلهيات. كما أن هذه الطرق مدخل للطعن في عقائد العوام ومجانبة يُسْر وبساطة دليل الفطرة التي فطر الله الناس عليها. مع تأكيده على أن النصوص الشرعية الوفيرة وجّهت إلى ترك المجادلة في الدين القيّم، وأن القدر الواجبَ في التوحيد هو الإجمالُ لا دقيقُ النظر، أو تشعبات طرق علمِ الكلام ودقائقه.

الواقع أن ابن الوزير لم يكتف بذلك، بل أورد بعض المرويات عن أئمة الزيدية وعلماء الإسلام (الجويني، ابن تيمية، الغزالي، الرازي، الباقلاني، العز بن عبد السلام) الذين أكدوا أن "**الطريق إلى حقائق المعرفة من هذا الوجه مسدود**"[62]، وامتنعوا بعد ردح طويل من الزمن عن الخوض في مسائل الكلام، وأعلنوا الرجوع إلى طريقة السلف في إثبات العقائد الدينية[63].

المبحث الثالث:
مسالك الاستدلال على أصول الاعتقاد عند ابن الوزير: (إثبات وجود الصانع أنموذجًا).

بعد نقده لأدلة المتكلمين، وخاصة المسمى "دليل الأكوان"، وبعد رده لأوجه استدلالهم على وجود الصانع، اعتبر ابن الوزير طريق معرفة الله تعالى أجلى وأظهر من دليل الأكوان الذي سلكه جمهور أهل الكلام؛ لأن "**القطع بتوقفها (أدلة الأكوان) عليه (الصانع) يستلزم القطع بأنها أخفى منه؛ لأن الدليل أجلى من المدلول عليه، ولذلك كان (الدليل) له مُعرِّفا**"[64].

الراجح أنَّ دراية ابن الوزير ومعرفتَه بالمعقولات ومسالك الاستدلال الأخرى، أهلته للوقوف بعمق على "الشُّبَهِ" التي تدخل على دليل العرض الكوني (دليل الأكوان) أو حدوث العالم، مع التنبيه بشدة على الاختلاف الحاصل بين المتكلمين حياله؛ ذلك أنه ناقش[65] جل المسائل التي أثاروها بشكل عميق مستشهِدًا تارة بأقوال عدد من رموز الفرق الكلامية أنفسهم لبيان عدم التوافق الحاصل حول مسألة الاستدلال بالأكوان، وما يتصل بها من تضارب في القول بشأن العلم "الضروري" و"الظني/

(60) نفسه، ص84.
(61) خصص ابن الوزير مبحثًا لنقد مذهب الطبيعيين بالدليل الحسي. انظر: **ترجيح أساليب القرآن**، ص92.
(62) الغزالي، أبو حامد. **إحياء علوم الدين**، 97/1.
(63) ابن الوزير، **ترجيح أساليب القرآن**، ص32. وكذلك: **الروض الباسم**، ص166، **والعواصم والقواصم**، 15/2.

(64) ترجيح أساليب القرآن، ص94.
(65) نفسه، ص98.

الاستدلالي". وعلاقة المعارف بالنظر على اعتباره شرطًا اعتباريًا كما ذكر ابن الوزير. ناهيك عن حصول الاختلاف في تحقيق الكلام في مفردات **الجهة والتحيز**، **والطبع والقديم**، وما إلى ذلك من اصطلاحات أهل الكلام، وأيضًا تحديد معاني **الوجود والجوهر**، من قائل بأن الوجود هو الشيء ذاته وحقيقته، إلى قائل بأن وجود الذات زائد على حقيقتها. دون صرف النظر عن تعقيدات أهل الكلام بخصوص الجوهر والعَرَض والطبائع وصفات الجوهر (الجوهرية، الوجود، الكائنية، التحيز)، التي لا طائل منها سوى استتباع الشكوك.

لقد انتهى ابن الوزير في خضم ذلك النقاش إلى القول: "**وكل مذهب يؤدي إلى هذه التمحُّلات، والخصم يريد مع هذا سفاهة ولجاجًا. فالواجب على العاقل الفطن الإعراض عنه والتمسك بقوله تعالى:** ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾[66]، ويستطرد ناقلا كلام أحد شيوخه: "إن **الوقوف بأوائل الدلائل كاف لأهل الجمل ولا تلزمهم الأبحاث العميقة في غوامضها، وأن تركيب الأدلة على ترتيبها المنطقي أو النظري ليس بشرط للعلم بالله تعالى وبصفاته، وأن من يعجز عن النظر في أوائلها والوقوف عليها غير مكلف مثل كثير من العوام والعبيد والنسوان**"[67].

نجده أيضًا يعمدُ إلى نقضِ تلك الطرق الكلامية ببيان أجلى وأيقن الطرق وأقصرها؛ فها هو مثلًا يستحسن جواب الأعرابي الذي سئل: بما عرفت ربك؟ ليجيب: "**البعرة تدل على البعير، وآثار الخطى تدل على المسير، فهيكل علوي، وجوهر سفلي، لم لا يدلان على العليم الخبير**"[68]. وهو نفس الجواب الذي ردّ به الرسل والأنبياء على المكذبين برسالتهم، والمقصود هنا هو قول الله تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ (إبراهيم:10).

لقد تحدث عن طريقته التي سلكها في الاستدلال على وجود الله، واصفًا إياها **بالدلالات**، وكلها دل عليها القرآن الكريم. وبالنسبة إليه فلا حاجة للخوض في "**ترتيب الأدلة وبناء المقدمات وتحديد شروط الإنتاج، وتقسيم الأشكال، وتحرير الجواب والأشكال**"[69] على غرار ما يصنع المناطقة والفلاسفة، ومن سار على نهجهم من المتكلمين. وبناء عليه فهو يرى الطريق الصحيح في إثبات موجد الكون منحصرا في الدلالات الأربع الآتية: دليل الفطرة، ودلائل الإعجاز، وآيات الأنفس، وآيات الآفاق.

(66) نفسه، ص102.
(67) نفسه، ص103.
(68) المرجع السابق، ص95.
(69) **ترجيح أساليب القرآن**، ص95.

أولًا:
دليل الفطرة:

تتجلى إسهامات ابن الوزير اليماني في الاستدلال العقدي عبر قدرته البارعة على استخراج البراهين الدالة على وجود الله تعالى من القرآن الكريم، ومن خلال أسلوبه البسيط في عرض تلك الدلالات والرد على منكريها من أهل الاعتزال وغيرهم. فالرجل يرى أن الطبيعة الإنسانية المتمثلة في الفطرة التي فطر الله الناس عليها من أقوى وأنصع الدلالات على وجود الله تعالى.

في المبحث الذي عنونه ابن الوزير بـ"**البرهان على أن الإجمال في التوحيد هو القدر الواجب**"[70]، قدم استطرادًا مليحًا ولمحة فريدة في سياق شرح معاني الآية الكريمة: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ (إبراهيم:10)، والآية الكريمة الأخرى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾(الحديد:3). فقد قال: "**فإنه الظاهر من جهة البصائر الجلية الجُمَلية، والباطن من جهة الأبصار والتفاصيل الخفية، فلو خفي من الجهتين معًا لكان باطنا من كل وجه، غير ظاهر من كل وجه. ويوضحه من السنة على صحتها حديث (كل مولود يولد على الفطرة)[71]، بل قد ورد في القرآن بأن ذلك هو الفطرة في قوله تعالى** ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾. (سورة الروم: 30)[72].

لقد سبقت الإشارة إلى استحسان ابن الوزير لجواب الأعرابي الذي سئل بم عرفت ربك؟ وفيه إشارة إلى استنكار الشك فيمن هذا الخلق من السماوات والأرض صنعُه وأثرُه، فكيف يعقل ألا يدل الكون الفسيح والخلق بما اشتمل عليه من الآيات والأعاجيب على صانعه. ومعنى ما تقدم أن معرفة الخالق سبحانه تتحصل بالفطر السليمة النقية. وعطفًا على ما قيل استشهد ابن الوزير بكلام مأثور عن الإمام علي كرم الله وجهه في *نهج البلاغة* قال فيه: "**فبعث فيهم (العالمين) رسله ليستهدوهم ميثاق فطرته**"[73].

مما لا شك فيه أن هذا الدليل نبه عليه القرآن الكريم؛ إذ فِطَر العقلاء تُقرُّ-بالأصالة- بوجود الخالق ووحدانيته، بنفس القدر الذي يعد الإيمان والوازع الديني مغروزًا في النفوس والضمائر.

ثانيا:
دلائل الإعجاز/المعجزات:

يقصد ابن الوزير بدلائل **الإعجاز** الاستدلالَ على أصول الدين بإعجاز القرآن الكريم بذاته أولًا، وبإحكامِ خلقِ المخلوقات ثانيًا، ولعل هذا الأخير هو دليل "الاختراع

(70) ترجيح أساليب القرآن، ص44.

(71) البيهقي، أحمد بن الحسين. **السنن الكبرى**. كتاب اللقطة، باب الولد يتبع أبويه في الكفر فإذا أسلم أحدهما تبعه. رقم الحديث: 11372 من حديث أبي هريرة ﷺ.

(72) ابن الوزير اليماني، **ترجيح أساليب القرآن**، مرجع سابق، ص44.

(73) نفسه، ص96.

والإتقان" الذي تحدث عنه غيره، كابن رشد في "مناهج الأدلة". فهو يعتمد على ما في العالم من عجائب المصنوعات، وغرائب المخلوقات، وما فيها من الإحكام والإتقان المعلوم بالفطر، وهو لا شك عالَمٌ لابدَّ له من صانع خبير قدير أحكمه. لقد جعل ابن الوزير "دليل المعجزات" أقرب وأقوى وأقطع دليل للاحتجاج قصد إفحام الخصوم وقطع اللجاج(74).

يتحدث، من جهة أخرى، عن دلالة **المعجزات** التي جاء بها الأنبياء والرسل الكرام عليهم السلام؛ إذ كل معجز معلوم بالتواتر يصح الاستدلال به على وجود الخالق، وخاصة أن أدلة المخالفين من المتكلمين والفلاسفة منحصرة في القدم والطبع كما قال ابن الوزير: "**والمعجز حادث بالضرورة ومخالف للطبع والعوائد، ولو كان موافقًا للعوائد كطلوع الشمس من المشرق... استحال أن يكون معجزا. فلذلك احتجت الرسل بالمعجزات على أشد الخلق عنادًا، وكان هذا هو الذي أفحم به إبراهيمُ عليه السلام خصمَه الكافر**"(75).

ومما يجرى مجرى الكلام السابق، حكاية ابن الوزير لأجماع طوائف المسلمين وفرقهم على اعتبار فعل الله تعالى المعجز طريقًا لمعرفته سبحانه: "**فلا قال أحد إن الإعجاز عرَضٌ ولا إن معرفة الإعجاز مستحيلة ممن لم يعرف ماهية العرض الاصطلاحي**"(76)، كما أن الفرق بين المعجزة والسحر والكهانة لا تخفى على أحد من العقلاء، بل الأمر من أوضح المعارف على حد تعبير ابن الوزير(77).

ثالثًا:
دلائل الأنفس والآفاق (طريقة الاعتبار والأحوال):

الجدير بالذكر هنا أن ابن الوزير سبق له أن بسط القول في هذه الدلائل في كتاب "إيثار الحق"(78)، أما في "ترجيح أساليب القرآن" فنلفِه يطلق على دليل الأنفس والآفاق اسم "**طريقة الأحوال**"، وهي عنده أنصع الدلائل على مسائل الاعتقاد، وأقربها إلى أذهان وتمثلات العامة من الناس، وسميت بطريقة الأحوال لاقترانها بالأحوال والصفات المتقلبة، والتغيرات التي يجدها الإنسان في كل ما يتصل بخلقته وما يمر به من أطوار مُذْ كان نطفة مُخلَّقة، إلى تقلباته في أحوال أرذل العمر المتباينة. وما يتعاقب عليه فيه (العمر) من أحوال الضعف والصحة والمرض والكبر..."**فلابد لهذه التغيرات من مغير قادر عالم مخالف لها**"(79).

(74) نفسه، ص75.

(75) نفسه، ص105.

(76) نفسه، ص106.

(77) نفسه، ص107.

(78) ابن الوزير، محمد بن إبراهيم. **إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق**، شركة طبع الكتب العربية، مصر، (د. ت). ص44-46.

(79) ابن الوزير، محمد بن إبراهيم، **ترجيح أساليب القرآن**، ص110.

يجد الإنسانُ العاقل المتفكر في الآفاق والعوالم المنظورة الكونَ وأحوالَه في تجدُّد وتغيُّر: من دوران الأفلاك وجريان الكواكب، وتعاقب الليل والنهار، "**وتغير أحوال الماء وإنشاء الغيوم الثقال، وإنزال الأمطار على الوهاد ورؤوس الجبال. وقد جمعا الله تعالى في قوله:** ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ **(-البقرة:-164) إلى قوله تعالى** ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٤﴾ **... ومن عرف هذه الأمور عرف معرفة ظاهرة أن لها محدثًا مخالفًا للأجسام والأعراض**"[80].

يتضح لنا في هذا المقام أن ابن الوزير ينحو منحى الاختصار والتركيز، وكلما أدرك بأن كلامه لن يستوفي المطلوب من البيان والتفصيل يلجأ إلى الإحالة على سابقيه من العلماء. ففي السياق الذي نتحدث عنه أحال غير ما مرّة على كتاب الجاحظ "العبر والاعتبار"، وكتاب الفخر الرازي المعروف بـ "أسرار التنزيل وأنوار التأويل". ومن أشهر الأمثلة التي خصها ابن الوزير بالذكر حديثه ما أودعه الله في الأنملة (أصبع) الواحدة من العجائب: "**فوضع فيها جلدًا ولحمًا وعصبًا وعروقًا وشحمًا ودمًا وعظامًا ومخًا وظفرًا...وأحد عشر لونا لكل واحد منها لون يخالف لون الآخر...ثم خلق في بعضها الحياة دون البعض كالشعر والظفر والعظم، وجعلها مدركة لأمور شتى**"[81]. وفضلا عن ذلك، فقد كانت له وقفة مع قصة إبراهيم الخليل في استدلاله بآيات الكون على بطلان عبادة غير الله تعالى.

إن الطرق والدلائل التي ذُكِرت جزء لا يتجزأ من الطريقة القرآنية في الاستدلال على العقائد، وهي ما أصّل له ابن الوزير ومن على شاكلته من المتقدمين بياناً لكفاية أدلة القرآن في إثبات العقائد الإيمانية سيرًا على نهج الأنبياء والمرسلين في دعوة الناس إلى التوحيد وعبادة الخالق. ففي القرآن الكريم نقرأ: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٤﴾ (الرعد:4)، وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ۝٧٥﴾ (الأنعام: 75).

الملفت للنظر في أسلوب ابن الوزير أثناء تقريره لمسائل العقيدة، أنه يؤكد على أن كل دلالة أوردها إنما يصدق بعضها بعضا حتى ولو أنها تقوم بذاتها حجة وبرهانا قاطعًا على وحدانية رب العزة سبحانه. وهي دلائل مؤصّلة من القرآن الكريم، وتفضُل بكثير ما ابتدعه الفلاسفة الطبيعيون وأهل الكلام ممن أخذوا بالطرق المنطقية والفلسفية

(80) نفسه، ص110.

(81) نفسه، ص111.

من مسالك في الاستدلال، وعلى رأسها "دليل الأكوان" الذي سبق بيان معناه فيما تقدم من الفقرات.

خاتمة:

- ما قُدّم في هذا البحث مجرد إسهام متواضع رام تحليل منهج ابن الوزير اليماني في عرض ومناقشة مسائل وأصول الاستدلال على العقائد، مقتصرين على كتاب واحد من كتبه، وهو الموسوم بترجيح أساليب القرآن على أساليب (منطق) اليونان. تأسَّستْ خطةُ البحث على ثلاثة أهداف رئيسة. أولاها الوقوف على **دلالات مفهوم الاستدلال العقدي**، وما تكتسيه -تبعًا لذلك- **مسألة التأصيل القرآني للعقيدة** من أهمية قصوى في إثبات مسائل الاعتقاد بالمنهج الصحيح، ووفق الطريقة القرآنية التي انتهجها الأنبياء. منهج وطريقة عوَّل عليهما ابن الوزير وغيره من أجل نخْل وتصفية العقيدة الإسلامية من شوائب علم الكلام ونواقصه، ومن رواسب المسالك التي اتبعها أهله (الكلام)، التي عابها كونُها نهلت بشكل أو بآخر من المناهج الفلسفية والمنطقية وتأثرت بها أيما تأثر.
- يجب التنبيه-من باب الاستدراك- على أن الطرح المقدم لا يروم بتاتا التنقيصَ من تراث الإسلام في مجال أصول الدين وعلم الكلام، أو التهوينَ من وظيفة هذا العلم الذي ولجَهُ جلُّ علماء الإسلام دفاعا عن العقيدة الإسلامية وردا لشبهات الملحدين والمشككين في أصولها الاعتقادية. دون تجاهل حقيقة النقاش الذي ظل مفتوحًا باستمرار حول مسألة تجديد الدرس العقدي، والحاجة إلى بلورة منهج جديد في علم الكلام... ولا أخال أحدًا وقف في صف معارضة الدعوة إلى تأصيل العقيدة الإسلامية وفق منهج وطريقة القرآن الكريم، وبالطبع منهج سلف هذه الأمة الذي رفض البدع في أصول الدين وقواعده الكبرى.
- سعى المبتغى الثاني إلى التعريف بابن الوزير اليماني وعرضِ ملامحَ كبرى أطَّرت ظروف عصره. وهو العالم المجدد الذي نعتقد أن البحوث بشأن تراثه المعرفي النفيس لا تزال محتشمة إذا ما استثنيا بعض الدراسات التي تخصصت في مقاربة آرائه الاعتقادية ومنهجه النقدي والكلامي انطلاقًا من أُمّات كتبه، وتحديدًا "الروض الباسم"، و"إيثار الحق على الخلق"، ولغاية التدليل على أنه ترك مذهب الزيدية وتدين بمذهب أهل السنة ليصير علمًا من أعلامهم. ولعل السبب في ذلك هو كون الرجل من علماء القرن

التاسع الذي ظل محسوبًا لدى الكثير من الباحثين والدارسين على المدرسة الزيدية المنتشرة في اليمن قديمًا وحديثًا، وذلك على الرغم من كون كتبه المعروفة تصدح بالدعوة إلى الاعتصام بالمنهج النبوي والسنة الشريفة والذب عنها، ناهيك عن نبذ التعصب والتقليد المذمومين. والجدير بالذكر أنَّا لا نجد تفسيرًا لكون شهرته لم تماثل شهرة مواطنه الإمام الشوكاني الذي قضى بدوره ردحًا من الزمن محسوبًا على مذهب الزيدية قبل أن يصير علمًا من أعلام الإسلام المجتهدين والمستقلين بالرأي الفقهي.

- في الأخير شكل المبحثان الثاني الثالث صلب هذا الموضوع؛ إذ عملت فيه على عرض أهم **قواعد** ومعالم **منهج ابن الوزير** في إثبات العقائد الإسلامية ورد شبهات "الخصوم" من الفلاسفة وبعض المتكلمين. فضلًا عن بيان مسالك الاستدلال العقدي التي اتبعها ابن الوزير في كتاب "ترجيح أساليب القرآن"، مقتصرين على دلائل ثلاثة في باب إثبات وجود الصانع ووحدانيته هي: دليل **الفطرة**، ودلالة **المعجزات**، ودلائل **الأنفس والآفاق**.

البيبليوغرافيا

- الأفندي، سعيد بن أحمد، **قواعد المنهج عند ابن الوزير اليماني**، ط 1، مؤسسة المختار، القاهرة. 1428هـ.
- الإيجي، عبد الرحمن بن أحمد، **المواقف في علم الكلام**، ط1، عالم الكتب. بيروت. (د.ت)
- الباقلاني، أبو بكر، **التقريب والإرشاد**، تحقيق عبد الحميد أبو زنيد، ط2، مؤسسة الرسالة. 1998م.
- التهانوي، محمد علي، **كشاف اصطلاحات الفنون**، تحقيق لطفي عبد البديع. ط1، المؤسسة المصرية العامة. 1382هـ.
- الجرجاني، علي بن محمد، **التعريفات**، دار الكتب العلمية، ط3، 1408هـ..
- الجويني، عبد الملك (أبو المعالي). **البرهان في أصول الفقه**، 161/2.
- الحجر، رزق.. **ابن الوزير اليماني ومنهجه الكلامي**، ط1، الدار السعودية للنشر والتوزيع، الرياض. 1984م.
- الحربي، علي جابر. **ابن الوزير وآراؤه الاعتقادية**، جامعة أم القرى (رسالة جامعية بإشراف محمد سليمان داود). 1985م.
- (ابن) حزم، علي بن أحمد. **الإحكام في أصول الأحكام**، م1، دار الآفاق الجديدة، بيروت. 1983م.
- (ابن) رشد، الكشف عن مناهج الأدلة في

عقائد الملة، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت. 1998م.

- الزركلي، خير الدين. **الأعلام**.
- الشافعي، حسن محمود. **المدخل إلى دراسة علم الكلام**. ط2، مكتبة وهبة، القاهرة. 1411هـ.
- شرف الدين، أحمد. **اليمن عبر التاريخ**، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، 1963م.
- الشوكاني، بدر الدين. **البدر الطالع**.
- الشوكاني، محمد بن علي (بدر الدين). **البدر الطالع**، مطبعة السعادة، الجزء 2. 1348هـ.
- عثمان، علي حسن. **منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد**، ط2، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض. 1415هـ.
- العسقلاني، ابن حجر. **إنباء الغمر بأنباء العمر**. تحقيق: حسن حبشي، إحياء التراث، القاهرة. 1969م.
- العروسي محمد عبد القادر، **المسائل المشتركة بين أصول الفقه وأصول الدين**.
- العريفي، سعود عبد العزيز. **الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد**، ط1، دار عالم الفوائد. 1419هـ.
- العميري، سلطان وآخرون. **صناعة التفكير العقدي**. مركز تكوين للدراسات، طَ1. 2014م.
- الغزالي، أبو حامد. **إلجام العوام عن علم الكلام**، دار الكتاب العربي، ط1. بيروت. د.ت.
- فودة، سعيد عبد اللطيف. **موقف الإمام الغزالي من علم الكلام**، ط1، دار الفتح للدراسات والنشر. عمان.2009م.
- قوشتي، أحمد عبد الرحيم. **مناهج الاستدلال على مسائل العقيدة في العصر الحديث**، مركز تكوين للدراسات والأبحاث.
- الكفراوي، أسعد عبد الغني. **الاستدلال عند الأصوليين**، ط1، دار السلامة للطباعة والنشر. 2002م.
- الكفوي، أبو البقاء. **الكليات**، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري. ط2، مؤسسة الرسالة. بيروت. 1413هـ.
- الميداني، عبد الرحمان حسن. **ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة**، ط1، دار القلم، دمشق.1993م.
- (ابن) الوزير، محمد بن إبراهيم. (بدون تاريخ)، **الروض الباسم**، 403/1، الطباعة المنيرية. القاهرة.
- **إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق**، شركة طبع الكتب العربية. مصر. (د ت).
- ترجيح أساليب القرآن، مطبعة المعاهد. 1349هـ.